عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد02 - خاص- أوت 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-022-999-009 (DOI)

ابن الجزار القيرواني ومصنفه " في طب المعدة "

Ibn al-Jazzar al-Qayrawani and his book " On Stomach Medicine"

د. قادة دين *
المركز الجامعي نور البشير- البيّض/ الجزائر
eldine.kd@gmail.com

تاريخ الإرسال:2023/02/09 تاريخ المراجعة: 2023/02/25 تاريخ القبول:2023/07/19

الملخص:

يعد ابن الجزار القيراوني أحد الأطباء المسلمين الذين أنجبتهم منطقة شمال إفريقيا، وخلد ذكرهم في المصنفات التي أرخت للعلم والطب، العربية منها والغربية، بسبب المكانة التي بلغها الرجل في هذا المجال، والتراث الذي خلفه في الطب، وكثرة مصنفاته التي شملت وصف العلل ووصف الأدوية وحتى الحميات الغذائية، ومن بينها مصنف "في طب المعدة"، الذي خصصه لذلك العضو المهم في حياة الإنسان، والذي حظي بأهمية كبيرة في تاريخ الطب العربي والغربي.

ولهذا الموضوع أهمية خاصة، باعتباره يسلط الضوء على شخصية علمية تاريخية فذة، لها مكانة خاصة في تاريخ الطب، كما أنه يساهم في التعريف بنبوغ منطقة المغرب الإسلامي أو شمال إفريقيا، وأكثر من ذلك هو يتعرض بالتفصيل والشرح لمصنف طبي مهم، ويعرف به وبمضمونه، خاصة أن النسخة الأصلية منه ظلت لقرون حبيسة رفوف الخزانات العتيقة، ورهينة الخط المغربي القديم، الذي تصعب قراءته، فهذه مساهمة في التعريف بتراث المغرب الإسلامي العلمي وبنبوغ المسلمين وريادتهم الطبية.

* قادة دين - المركز الجامعي البيض.

وسعت هاته الورقة البحثية للإجابة على الإشكالية المطروحة، عن مكانة ابن الجزار الطبية ومضمون مصنفه في طب المعدة، عبر التطرق لأبرز المحطات في حياة الطبيب أبن الجزار القيرواني، والتعريف بمصنفه عن المعدة، من خلال توظيف المنهج التاريخي، وبالاعتماد على خطة بحثية تكونت من مقدمة منهجية ومحورين أساسين، عرف الأول بابن الجزار ومكانته في تاريخ الطب وإنتاجه الطبي، وتطرق الثاني لمصنف (في طب المعدة)، فشرحه وعرف به وبمضمونه.

الكلمات المفتاحية: ابن الجزار؛ القيروان؛ الطب؛ المعدة؛ التاريخ؛ زاد المسافر؛ شمال إفريقيا؛ طب الفقراء؛ الفاطميين؛ جالينوس

Abstract:

Ibn al-Jazzar al-Qayrawani is one of the North Africa's Muslim physicians, whose names are preserved in the history, Because of his place and heritage in the medical's history, and the large number of his books that included describing illnesses, describing medicines, and even diets, including the workbook "On Stomach Medicine", which was of great importance in the history of Arab and Western medicine.

This research paper sought to answer the problem raised, about Ibn al-Jazzar's status in medicl's history, and the content of his workbook "on stomach medicine", by addressing the most prominent stations in the his life, and defining his work "on the stomach", by employing the historical approach, and by relying on a research plan that consisted of a two main axes, the first known as Ibn al-Jazzar, and its medical production, and the second dealt with a workbook (on stomach medicine).

Keywords: Ibn al-Jazzar; Kairouan; Medicine; stomach; history; zad el mosafir; North Africa; Fatimids; Galen; diseases

- مقدمة:

حفل التاريخ الإسلامي بمئات النوابغ في شتى ميادين العلوم، وكان الطب في طليعة تلك الفنون التي برع فيها المسلمون إبان توهج الحضارة الإسلامية وأوج تألقها وازدهارها، فحفظ التاريخ أسماء عشرات الأطباء المسلمين المقتدرين، الذين ساهموا

مساهمة معتبرة في تقدم الطب، ومثلوا الجسر الذي انتقل عبره هذا العلم من عهد الفراعنة والفرس والإغريق إلى العصر الحديث، مثل ابن سينا وابن رشد وابن النفيس وابن البيطار والزهراوي وابن الجزار القيراوني.

ويعد ابن الجزار القيراوني أحد الأطباء المسلمين الذين تألقوا وبرزوا في منطقة المغرب الإسلامي، وحفظت أسماؤهم في تاريخ الطب، وتكرر ذكر اسمه في المؤلفات التي أرخت للعلم والصنعة، ليس العربية فحسب ولكن أيضا الغربية، ومن المؤكد أن هذا ليس من قبيل الصدفة، ولكن بسبب المكانة التي بلغها الرجل في مجاله وتخصصه، والتراث الذي خلفه في الطب والتداوي، وكثرة مؤلفاته الطبية، ومن بينها مصنف "في طب المعدة"، الذي خصصه لذلك العضو الحساس في الجسم، والذي حظي بأهمية كبيرة في تاريخ الطب العربي والغربي، فمن يكون ابن الجزار القيرواني ؟ وماذا يمثل مصنفه هذا ؟ وما مضمونه ؟ وما أهميته؟

ولهذا الموضوع أهمية خاصة، باعتباره يسلط الضوء على شخصية علمية تاريخية فذة، لها مكانة خاصة في تاريخ الطب، كما أنه يساهم في التعريف بنبوغ منطقة المغرب الإسلامي، وأكثر من ذلك هو يتعرض بالتفصيل والشرح لمصنف طبي مهم، ويعرف به وبمضمونه، خاصة أن النسخة الأصلية منه ظلت لقرون حبيسة رفوف الخزانات العتيقة، ورهينة الخط المغربي القديم، الذي تصعب قراءته، فهذه مساهمة في التعريف بتراث المغرب الإسلامي العلمي وبنبوغ المسلمين وريادتهم الطبية.

وبطبيعة الحال فإن الموضوع محل الدراسة قد حظي بدراسات سابقة، وإن اختلفت في طريقة تناوله، ومنها التحقيق الذي قام به الطبيب العراقي "سلمان قطابة"، على المخطوط الأصلي لمصنف"في طب المعدة"،، والذي احتوى على معلومات قيمة، كما يوجد ورقة بحثية منشورة بعنوان" ابن الجزار القيرواني طبيبا ومؤرخا"، للدكتورة "سادسة حلاوي"، منشور في العدد السابع من مجلة كلية التربية بجامعة واسط بالعراق، وهناك دراسة عنه في مؤلف المؤرخ الفرنسي (Lucien LECLERC) الذي حمل عنوان: "Histoire de Médecine Arabe"، وصدر سنة 1876م.

واستهدف هذا البحث التعريف بشخصية ابن الجزار القيراوني، ومنجزاته الطبية، والتعريف بمضمون مصنفه عن المعدة وشرح عناصره وأقسامه، عبر توظيف المنهج التاريخي، بداية بتوفير المادة التاريخية الأولية، والتي اشتملت على مصنف"كتاب المعدة"، بالإضافة لكل المصادر والمراجع التي تطرقت لحياة وتراث ابن الجزار، ومن ثمة دراستها وفحصها ومقارنتها واستخراج ما يهم منها، وبعد ذلك تمت عملية إعادة البناء التاريخي، التي أخرجت ورقة بحثية تعريفية بهذه الشخصية العلمية التاريخية العربية المغاربية وبمصنفها.

1- التعريف بابن الجزار القيرواني

نتيجة المكانة الكبيرة التي حظي بها ابن الجزار القيرواني في تاريخ الطب وصنعته، فقد تراكمت عنه تراجم كثيرة في شتى المصنفات التي تطرقت لتاريخ الطب ولأعلامه، وقلّ أن يوجد مصنف احتفى بتاريخ أعلام الإسلام وعلمائه لم يتحدث عن ابن الجزار القيرواني.

هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المشهور بابن الجزار القيرواني(ابن أبي صبيعة أحمد، 1883: 37، 38)، من مدينة القيروان بتونس، يعد أحد أشهر أطباء مدرسة القيروان، التي ضمت أطباء كبار كإسحاق بن عمران (أنظر التعليق رقم 1)، وإسحاق بن سليمان وزياد بن خلفون والفضل بن علي بن ظفر وعدد من أطباء عائلة الجزار(القيرواني بن الجزار، 1980: 13)

ولد ابن الجزار وسط عائلة تحترف الطب، فكان عمه أبو بكر محمد بن أبي خالد طبيبا مشهورا بالقيروان، أخذ عن كبار أطبائها مثل إسحاق بن سليمان (أنظر التعليق 2)، وأخذ أحمد عنه كما يورد في مصنفه (في المعدة وأمراضها ومداواتها)، كما أخذ عن والده إبراهيم، الذي كان طبيبا مقتدرا في عصره، كما يذكر ابن جلجل في مصنفه (طبقات الأطباء والحكماء)، أنه "طبيب ابن طبيب"(ابن جلجل أبو داود، 1955: 88).

سكت جل المترجمين الذين ترجموا لحياة ابن الجزار عن ذكر تاريخ ولادته، كعادة المؤرخين مع أعلام العهد الإسلامي لعدم الاهتمام بتاريخ الولادة مثل الاهتمام بتاريخ الوفاة، ولأن الشهرة تصاحب هؤلاء الأعلام فقط بعد نضجهم وتقدمهم في السن، وقد تفرد الأديب والمؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب (أنظر التعليق 3) بإيراد سنة

285هـ/ 898م، كسنة ولادته (عبد الوهاب حسني، 1972: 306- 312)، بينما وقع خلاف كبير في تاريخ وفاته فيجعله كل من ابن عذاري وسيزكين وحسن حسني عبد الوهاب سنة 369هـ/ 979م (المراكشي بن عذاري، 1950: 338؛ عبد الوهاب حسني، 1972: 132،133؛ سيزكين فؤاد، 1991، 483)، ويجعله إسماعيل باشا البغدادي صاحب مؤلف "هدية العارفين" وحاجي خليفة ولوكلير سنة 400هـ/ 1009م، بالأندلس مقتولا (خليفة حاجي، 1966: 1095؛ البغدادي إسماعيل، 1951: 70؛ Leclerc Lucien, 1876 : 413)، ويذكر ياقوت الحموي وصلاح الدين الصفدي أنه كان موجودا سنة 350هـ/961م، في أيام المعز بالله الفاطمي (الحموي ياقوت، 1983: 188؛ الصفدي خليل، 2000: 132).

تتلمذ ابن الجزار على أطباء القيروان الذين سبق ذكرهم، مثل عمه أبي بكر(أنظر التعليق 4)، ووالده إبراهيم وعلى الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (ابن أبي صبيعة أحمد، 1883: 38)، وتبحر في علم الطب عبر دراسة مصنفات الأوائل الطبية، من الإغريق والمسلمين (الأندلسي بن صاعد، 1912: 61)، ويذكر سيزكين أنه كان واسع الإطلاع في غير الطب أيضا، وله باع في التاريخ والجغرافيا (سيزكين فؤاد، 1991: 483)، وهو ما ذهب إليه ابن صاعد حيث قال: "وكان له عناية بالتاريخ أدته إلى أن يؤلف فيه مختصرا حسنا سماه "كتاب التعريف في صحيح التاريخ"(الأندلسي بن صاعد، 1912: 61، 62)، وقد ذكر ياقوت أنه يزيد عن العشر مجلدات (الحموي ياقوت، 1983: 187).

ورغم أن بعض الترجمات أوردت قصصا كثيرة تنتقص من شخصيته ومكانته، منها اتصاله بالخلفاء الفاطميين، كما أورد ابن الأثير عن تسببه في وفاة المنصور العبيدي والد المعز لدين الله الفاطمي، بسبب خلطة أعدها له ليستنشقها (الجزري بن الأثير، 1987: 242)، ومنها تشيعه، ونبذ أصحاب الطبقات المالكية المغاربة له بسبب ذلك (عبد الوهاب حسني، 1972: 309)، ولكن يكذب كل هذا ما روي عنه وعن سماته وفضائله، كما أورد ابن جلجل: "وكان قد أخذ بنفسه مأخذا عجيبا في سمته وهديه وقعوده، ولم تحفظ عليه القيروان زلة قط، ولا أخلد إلى لذة، وكان يشهد الجنائز والعرائس ولا يأكل

فيها، ولم يركب إلى أحد من رجال إفريقية ولا إلى سلطانها، إلا إلى أبي طالب عم المعد، كان له صديقا قديما يركب إليه كل جمة لا غير" (ابن جلجل أبو داود، 1955: 89).

ويضيف ابن جلجل في ما يتعلق بزهد ونزاهة واستقامة ابن الجزار: "وكان ينهض في كل عام إلى المنستير، رابطة على البحر، فيكون هناك طول أيام القيظ، ثم ينصرف إلى إفريقية، وكان قد وضع على باب داره سقيفة، أقعد فيها غلاما له يسمى برشيق، أعد بين يديه جميع المعجونات والأشربة والأدوية، فإذا رأى القوارير بالغداة، أمر بالجواز إلى الغلام وأخذ الأدوية منه نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد شيئا" (ابن جلجل أبو داود، 1955: 89).

ومما روي في حذق الطبيب ابن الجزار القيرواني ومهاراته الطبية، عن أبي داود ابن جلجل دائما أنه قال: "حدثني من أثق به قال: كنت عنده غداة في دهليزه وقد غص بالناس، إذ أقبل ابن أخي النعمان القاضي (أنظر التعليق 5)، فلم يجد في الدهليز موضعا يجلس فيه، إلا مجلس أبي جعفر فخرج أبو جعفر، فقام له ابن أخي القاضي على قدم، فما أقعده ولا أنزله، وأراه قارورة بماء كانت معه، لابن عمه ولد النعمان، واستوفى جوابه عليها وهو واقف، ثم ركب ونهض وما كدح ذلك في نفسه، وجعل يتكرر عليه بالماء في كل يوم حتى برئ العليل"، ثم يضيف: "قال الذي حدثني: فكنت عنده ضحوة نهار، إذا أقبل رسول النعمان القاضي بكتاب يشكره فيه على ما تولى من علاج ابنه، ومعه منديل بكسوة وثلاثمائة مثقال، فقرأ الكتاب وجاوب شاكرا، ولم يقبض المال ولا الكسوة، فقلت له: أبا جعفر، رزق ساقه الله إليك، ترده ؟ قال لي: والله لا كان لأحد من رجال دولة المعد قبلي نعمة" (ابن جلجل أبو داود، 1955: 89).

ويورد ابن جلجل أن ابن الجزار هم بالرحيل إلى الأندلس، لكنه لم ينفذ ذلك، وبقي بالقيروان في ظل الدولة الفاطمية حتى وفاته(ابن جلجل أبو داود، 1955: 90)، وهذا يتنافى مع ما ذكرته بعض المصادر عن وفاته بالأندلس مقتولا سنة 400هـ/1009م، ويبدو أن هذا غير صحيح وأن كتبه هي من وصلت إلى الأندلس، حاضرة العلم والثقافة والفنون في وقتها، ومنها انتشرت عبر العالم واشتهر صاحبها (القيراوني بن الجزار، 1996: 15).

2- تآليف ابن الجزار القيرواني

ترك ابن الجزار تراثا معتبرا في الطب، فقد ألف في مختلف الشؤون الطبية، نتيجة انكبابه الطويل على تراث الأولين في هذا الميدان ونتيجة ممارسته وخبرته الطويلة، فقد ذكر ابن جلجل أنه لما مات وجد له خمسة وعشرون قنطارا من الكتب الطبية وغيرها (القيراوني بن الجزار، 1996: 15)، وعدّد ابن أبي صبيعة لابن الجزار 27 كتابا، تناقلها عنه كثيرون مثل حاجي خليفة (أنظر التعليق 6)، بينما ذكر حسن حسني عبد الوهاب أن له 37 مصنفا، وذكر آخرون عددا أكبر من هذا(القيرواني بن الجزار، 1980: 31).

ونذكر من مؤلفاته، اعتمادا على ما أوردته مختلف المصادر:

كتاب اعتماد الأدوية المفردة: وقد عرف شهرة كبيرة لدى الغرب، حيث ترجم إلى اللاتينية واليونانية والعبرية، وانتحله كثير من أطباء الغرب ومنهم الطبيب المستعرب قسطنطين الإفريقي (Constantnis Africanus) (أنظر التعليق 7)، الذي غير عنوانه إلى (Liber de Gradibus)، ويذكر سيزكين أن في المؤلف فائدة لغوية إضافة إلى الفائدة العلمية، حيث كان ابن الجزار يورد مرادفات لأسماء الأدوية بلغات مختلفة إضافة إلى العربية، مثل الرومية والفارسية والسريانية، ومخطوط الكتاب متوفر في كثير من المكتبات والخزانات الخاصة، بإسطنبول وفلورنسا ولندن وحلب ودمشق والرباط، وموجود في مكتبة الجزائر تحت الرقم: 1836/3(سيزكين فؤاد، 1991: 483، 484).

- **زاد المسافروقوت الحاضر:** وقد ألفه ابن الجزار ليكون كتيبا ملازما للمسافر يستعمله في حالة أصيب بمرض خلال السفر، ويحتوي إلى أقسام خاصة بأمراض مختلف أجهزة الجسم مثل الرأس والجهاز التنفسي والأحشاء، وقد ترجم إلى اللاتينية من طرف قسطنطين الإفريقي تحت مسمى (Viaticum Peregrinantis)، ويتواجد اليوم في عدد من المكتبات في إزمير التركية ودريسدن الألمانية وكليفلاند الأمريكية، وبالقاهرة والرباط وباليمن(القيرواني بن الجزار، 1980: 33، 34).

- **طب الفقراء والمساكين:** وهو مصنف طبي يحتوي على 70 بابا، يقدم فيه ابن الجزار الأدوية اللازمة وطرق تحضيرها واستعمالها، بالنسبة للأمراض التي تصيب جسم

الإنسان بالترتيب، بداية بأمراض الرأس ثم أمراض الأجهزة الداخلية وصولا إلى أمراض القدمين، وتتواجد نسخ من مخطوطه في متحف "الإسكوريال" بمدريد ومتحف بغداد وبالمكتبة الوطنية بباريس، وبمكتبة جامعة كمبريدج بإنجلترا(القيرواني بن الجزار، 1996: 25، 26).

- **كتاب أبدال العقاقير:** عرف بعناوين مختلفة مثل "إعداد العقاقير" و"المعتمد في الأدوية والأغذية"، لكن متنه واحد، وتوجد نسخة منه بمتحف الإسكوريال (القيرواني بن الجزار، 1996: 17).

- **كتاب المعدة:** وعرف بأسماء مختلفة منها "المعدة"، "في المعدة"، وذكره ابن أبي صبيعة ب"كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها"، اقتبس منه الكثير من الأطباء منهم الزهراوي (أنظر التعليق 8) طرق معالجة أمراض المعدة، توجد نسخ منه بالإسكوريال وبالمتحف العراقي، وقد نشر بتحقيق من سلمان قطابة في العراق سنة 1980م (ابن أبي صبعية أحمد، 1883: 39؛ القيرواني بن الجزار، 1980: 34).

- **كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم:** توجد مخطوطاته بالبندقية وبالإسكوريال تحت مسمى "مجموعة من أقوال الأوائل في سياسة الأطفال"، وقد طبع بتحقيق محمد الحبيب الهيلة بتونس سنة 1968م (سيزكين فؤاد، 1991: 487).

- **طب المشايخ وحفظ صحتهم:** توجد نسخ من مخطوطاته بدار الكتب المصرية وبخزانة خاصة بمدينة البحيرة (سيزكين فؤاد، 1991: 487).

- **كتاب في فنون الطب والعطر:** توجد نسخ منه بأنقرة، وبمكتبة وهبي بإسطنبول (القيرواني بن الجزار، 1980: 35).

- **كتاب الخواص:** ذكره ابن أبي صبيعة (ابن أبي صبعية أحمد، 1883: 39)، ويتناول الأدوية ذات التأثير الخاص (Spécifique)، وقد ترجم إلى اللاتينية والعبرية (سيزكين فؤاد، 1991: 487).

- **رسالة في علاج النسيان وتقوية الذاكرة:** كتبه للسلطان الفاطمي، وهو موجز لا يعرف عنوانه الأصلي، توجد له ترجمة لاتينية وعبرية، وهو من المصنفات التي انتحلها قسطنين الإفريقي (القيرواني بن الجزار، 1980: 35).

- **كتاب البغية أوكتاب في الأدوية المركبة:** ذكره ابن أبي صبيعة، وأشارت بعض المراجع إلى أنه مفقود وورد ذكره في فهرس الأب سبَات (ابن أبي صبعية أحمد، 1883: 39؛ القيرواني بن الجزار، 1996: 18؛ Sbath Paul, 1934 : 618).
- **كتاب في الكلى والحصى:** توجد نسخة منه في مكتبة (Bodelian) بأكسفورد، تحت الرقم 579(القيرواني بن الجزار، 1980: 36).
- **كتاب الأحجار:** استخدم كمصدر لمصنفات طبية لبعض الأطباء المسلمين (سيزكين فؤاد، 1991: 488).
- **كتاب العدة لطول المدة:** ذكر ابن أبي صبيعة أنه أكبر كتاب في الطب لابن الجزار(ابن أبي صبعية أحمد، 1883: 38)، وقد رجع إليه علي بن إبراهيم بن بختيشوع (أنظر التعليق 9) في مصنفه تشريح العين (سيزكين فؤاد، 1991: 488).
- **كتاب المالوخوليا:** توجد نسخة منه في مكتبة أوكسفورد.

وقد أورد ابن أبي صبيعة أسماء مجموعة كتب لابن الجزار لا تتوفر نسخ منها وهي:

- قوت المقيم: قال أنه في عشرين مجلدا.
- رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الأوائل فيها.
- كتاب الفرق بين العلل التي تتشابه أسبابها وتختلف أعراضها.
- رسالة في التحذر من إخراج الدم من غير حاجة دعت إلى إخراجه.
- رسالة في الزكام وأسبابه وعلاجه.
- رسالة في النوم واليقظة.
- مجربات في الطب.
- مقالة في الجذام وأسبابه وعلاجه.
- كتاب نصائح الأبرار.
- كتاب المختبرات.

- كتاب في نعت الأسباب المولدة للأوباء في مصر، وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه.
- رسالة إلى بعض إخوانه في الاستهانة بالموت.
- رسالة في المقعدة وأوجاعها.
- كتاب البلغة في حفظ الصحة.
- مقالة في الحمامات (ابن أبي صبعية أحمد، 1883: 38، 39).

وفي غير الطب له:

-كتاب المكلل في الأدب.
- كتاب أخبار الدولة، يرجح أنه حول تاريخ الدولة الفاطمية.
- الفصول في سائر العلوم والبلاغات (ابن أبي صبيعة أحمد، 1883: 39).
- كتاب العيون والحدائق في الحقائق (سيزكين فؤاد، 1991: 489).
- كتاب التأريخ بصحيح التاريخ، ذكر ابن أبي صبيعة أنه مصنف تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه، وذكر ياقوت أنه في عشر مجلدات (ابن أبي صبيعة أحمد، 1883: 39؛ الحموي ياقوت، 1983: 187).

1-3- المطلب الثالث: مكانة ابن الجزار في تاريخ الطب

نال ابن الجزار مكانة مرموقة في تاريخ الطب، وحظي باهتمام سائر من أرخوا للحركة الطبية العالمية، ولا يوجد كتاب واحد تحدث عن تاريخ الطب والتداوي، لم يتعرض لسيرة ابن الجزار، كما ذُكر اسمه في سائر مصنفات التراجم العربية والغربية التي تناولت مسيرة العلوم، وإبداعات العرب العلمية.

فقال عنه ابن صاعد: "كان حافظا للطب دارسا للكتب جامعا لتواليف الأوائل، حسن الفهم لها، وله مصنفات في الطب وغيرها"(الأندلسي بن صاعد، 1912: 61)، وقال عنه ابن جلجل صاحب "طبقات الأطباء والحكماء" وابن أبي صبيعة صاحب مصنف "عيون الأنباء في طبقات الأطباء": "طبيب ابن طبيب، كان من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم" (ابن جلجل أبو داود، 1955: 88، 89؛ ابن أبي

صبيعة، 1883: 38)، وذكر ابن عذاري أنه طبيب كبير معروف (المراكشي بن عذاري، 1950: 338).

وأورد ياقوت الحموي في "معجم الأدباء"، أنه كان طبيبا حاذقا، كتبه جامعة لمصنفات الأوائل، وأنه كان حسن المذهب فاضل السيرة، صائنا لنفسه عن مخالطة الملوك (الحموي ياقوت، 1983: 187)، وجاء في ترجمته عند سيزكين: "كانت مؤلفاته واسعة الانتشار عند اللاتين، وانتحل قسطنطين الإفريقي الجزء الأعظم منها، وقدر ورد اسمه مصحفا في الكتب اللاتينية بأشكال مختلفة"(سيزكين فؤاد، 1991: 483).

وجاء في مؤلف المستشرقة الألمانية زغريد هونكه "شمس العرب تسطع على الغرب": "وهناك كتاب آخر هام جمعت معلوماته من التجربة، ويهدف إلى التجربة ذاتها، وعنوانه (زاد المسافر)، وقد صُنّفت في باختصار ووضوح كل أسباب الأمراض التي قد تصيب المرء في رحلة ما، وعوارض هذه الأمراض وطرق علاجها، وأما مؤلفه فهو الطبيب القيرواني ابن الجزار"(هونكه زغريد، 1993: 288).

وبدورها تناولت المصنفات الغربية التي تطرقت لتاريخ الطب سيرة ابن الجزار، فجاء في مصنف لوكليرك (Lucien LECLERC)، " Histoire de la Médecine Arabe"، أنه كان إنسانا متزنا، حازما ومنهجيا في دراسة الطب وتطبيقاته، والذي مارسه باستقلالية، ورفض مثل نظرائه في المغرب الارتباط بالأمراء" (Leclerc Lucien, 1876 : 413)، ونشر (M. Gustave DUGAT)، في عدد ماي 1853م من المجلة الآسيوية، دراسة حول مصنف زاد المسافر"، لابن الجزار، مما جاء فيها: "من بين الكثير من المؤلفات الطبية العربية التي ترجمت في القرون الوسطى، نجد كتب (زاد المسافر)، المصنف الطبي الذي وضعه ابن الجزار، ترجم للاتينية والإغريقية والعبرية"(Dugat Gustave, 1853 : 290).

وعلاوة على هؤلاء فقد ذكر عدد آخر من المؤرخين الغربيين، الذين تناولوا بالدراسة تراث العرب العلمي والطبي، ابن الجزار ومنجزاته، مثل المؤرخ والأديب الألماني كارل بروكلمان في مصنفه "تاريخ الأدب العربي"(بروكلمان، 1991: 274)، وج. سارتون (G. Sarton) في كتابه "مدخل إلى تاريخ العلوم"(Srton Geoge, 1975 : 682)،

و(A. Z. Izkandar)، في مصنفه "فهرس المخطوطات الطبية العربية" (Izkandar Zaki , 1967 : 116 , 117)، وكلها تشير إلى مكانة ابن الجزار في تاريخ الطب العالمي وفي تاريخ النوابغ المسلمين.

3-كتاب في طب المعدة

يعتبر هذا المصنف أحد أهم مؤلفات الطبيب المسلم ابن الجزار القيرواني، وقد خصصه لعضو مهم في الجسد وهو المعدة، نظرا لحساسيته نتيجة موقعه ووظيفته، ولكونه ظل عبر الزمن أحد أكثر الأعضاء الجسدية التي عانى الناس من أضرارها وأمراضها.

3-1- المطلب الأول: لمحة عن المصنف

ورد هذا المصنف في النسخة المتوفرة من المخطوط بعنوان: "في طب المعدة"(القيرواني بن الجزار، 1980: 49)، وأورده ابن أبي صبيعة في "عيون الأنباء" بعنوان: "كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها"(سيزكين، 1991: 487)، وذكر سيزكين أنه "كتاب المعدة" (بروكلمان، 1991: 274؛ سيزكين، 1991: 487)، فيظهر الاختلاف على عنوان المصنف رغم الاتفاق على محتواه، وربما هذا نتيجة الاختلاف الذي أحدثه الناسخون عبر الزمن.

وقد تحدث بروكلمان وسيزكين عن انتحال البعض لهذا المصنف الطبي، ونقله إلى اللاتينية بعنوان (Liber de Stomacho) (بروكلمان، 1991: 274؛ سيزكين، 1991: 487)، لكن يوجد ما يكفي من الأدلة عن نسبة هذا المؤلف لصاحبه أبي جعفر أحمد ابن الجزار القيرواني، كما ورد في تقديم المخطوطات المتوفرة، حيث يأتي في تقديمها: "كتاب فيه أصل علم كبير في الطب، عضو جسم، ألفه للسيد الأمير ولي عهد المسلمين بن أمير المؤمنين، عبده أحمد ابن إبراهيم بن أبي خالد المتطبب"، وكما يرد في طيات

المخطوط حديث ابن الجزار عن بعض الوصفات والخلطات السابقة التي اقتبسها من عمه محمد بن أحمد (القيرواني بن الجزار، 1980: 86، 183).

وتتحدث المصادر الحديثة عن وجود نسختان من مخطوط ابن الجزار محل الدراسة، في العالم كله، واحدة في المكتبة الظاهرية بدمشق نسخت سنة 695هـ/1295م، وهي نسخة شبه كاملة، تحتوي على 140 ورقة بأبعاد 16×25 سم، وكانت مصدر تحقيق ودراسة هذا المخطوط، وهناك نسخة مجتزأة متوفرة في متحف الإسكوريال بإسبانيا، من 12 ورقة فقط بأبعاد 33× 15 سم، ورغم أنها تمثل فقط جزء من المخطوط، لكنها تكمل النقص في نسخة دمشق خاصة أنها كتبت بخط واضح ومقروء (القيرواني بن الجزار، 1980: 58).

وهذا المصنف يحظى بأهمية كبيرة لكونه من الكتب الطبية الأولى التي خصصت لعضو واحد بالكامل، وتعرضت لبنيته وأمراضه والعلاجات المختلفة لها، خاصة أن هذا العضو يتميز بحساسية شديدة، نتيجة وظيفته وموقعه في الجسم، ويعرف بانتشار أمراضه وعلله في جميع الأزمنة بسبب النمط الغذائي، وقد اعتمد ابن الجزار في مصنفه هذا أولا على تجربته الشخصية فيورد الكثير من الأدوية التي صنعها بنفسه وتأكد من فاعليتها بعد تجربتها حسب فهمه لأصل العلة، وثانيا على مؤلفات وآراء سابقيه مثل أبقراط وجالينوس وبروفس وقولوبوس وأفلاطون وفولوبس، من الإغريق، وعلى يحي بن ماسويه واسحاق بن عمران وابن بطلان وسابور بن سهل، وعمه محمد بن أحمد، من العرب (القيرواني بن الجزار، 1980: 59، 60).

2-3- المطلب الثاني: أقسام الكتاب

يبدأ ابن الجزار مصنفه بالحديث عن أهمية المعدة، فيقول: "اعلم أن المعدة وإن لم تكن عضوا رئيسيا في نفسها، فهي عضو عظيم حساس وجميع أعضاء البدن مضطرة إلى صحتها ومحتاجة إلى اعتدال مزاجها، لاسيما الأعضاء الرئيسية التي تتألم بألمها، بسبب الاشتراك بينهما، ، والثانية لعموم خدمتها لها، وإصلاحها لأغذيتها وطحنها وهضمها، وتمييز الغذاء، ودفع ما صفي منه إلى العروق، ليؤده إلى المواضع التي تضخ فيه"(القيرواني بن الجزار، 1980: 86، 87)، ويستشهد بقول الرسول عليه الصلاة

والسلام عن المعدة: "المعدة حوض البدن، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا اعتلت صدرت بالعلل"(أنظر التعليق 10).

ويخصص ابن الجزار جزء من تقديمه لكتابه لنقد عدد من قدماء المشتغلين بالطب والمؤلفين فيه مثل: تياذوق الأحمق وجورجيس وشمعون الراهب ويوحنا بن ماسويه وأهرن، حيث أنهم تجاهلوا الاستدلال على مواضع العلل والإبانة عن أسبابها المولدة لها، واشتغلوا بدل ذلك بوصف الأدوية، وحسب ابن الجزار فإن ذلك ضنا منهم بهذا العلم الشريف عن الناس (القيرواني بن الجزار، 1980: 86).

وكتاب ابن الجزار الذي بين أيدينا، غير موزع على فصول وأبواب موضوعاتية، ولا مرتب بطريقة منهجية، ولكن مكتوب بطريقة الكناش، على أشكال آراء متتالية، تظهر أن صاحبها يدون انطلاقا من خبرته وقريحته، أكثر مما يكتب انطلاقا من مصادر طبية منظمة، ورغم هذا فإنه توجد روح علمية في المصنف، فيورد 43 قولا في شكل ووظيفة وأمراض وعلاج المعدة، ويقوم بشرح الأمراض وعللها بطريقة بسيطة، ويتبع ذلك بوصفات علاجية (القيرواني بن الجزار، 1980: 59).

ويمكن من دراسة المصنف والتمعن في مضمونه أن نقسم محتواه إلى مجموعة أقسام، فهناك قسم خاص بتشريح المعدة، وقسم خاص بفسيولوجيا ووظائف المعدة، وقسم خاص بأمراض المعدة الوظيفية وقسم خاص بعللها النسيجية، وقسم خاص بالوقاية والحمية المناسبة لدوام صحة المعدة، وقسم خاص ببعض الأعراض الدالة على وجود أمراض وخلل بالمعدة.

- قسم بنية المعدة وتشريحها:

وقد تناوله في العنصر الذي جاء تحت عنوان: "القول في ماهية المعدة وكيفيتها"، فذكر ما أورده جالينوس حولها، من أنها آلة هيأها الله وأعدها لاستمرار الغذاء وهضمه، وهي مؤلفة من طبقتين، طبقة ظاهرة وطبقة باطنة، وأخرى عصبية، وعروق وأوراد وعضل وأغشية وحجب وصفاقات، محكمة الاستدارة قابلة للاستطالة، وأما الحاجة لاستدارتها، فلأن الشكل المستدير أبعد الأشكال عن التعرض للآفات، وأما أسباب استطالتها، فلحاجتها للتمدد لكثرة ما يدخلها من الطعام والشراب.

ويأتي في أعلاها المريء، الذي ينزل من حد الحلق ويمر مستقيما وسط العنق والصدر، وبعد بضعة خرزات "فقرات" في الصدر ينحرف من الوسط إلى الجانب الأيمن، ويترك موضعه للشريان الأعظم الصادر من القلب، الذي تعرفه العرب بالأبهر، ثم ينتهي إلى موضع الحجاب فيحيد عن الجانب الأيمن إلى الأيسر، ثم ينفذ عبر الحجاب إلى فم المعدة (القيرواني بن الجزار، 1980: 87).

ويفصل ابن الجزار في موضع المعدة في الجسم، ويشرح لماذا اختصت بالجهة اليسرى من أعلى البطن، وهذا لأن الكبد يحتل الجهة اليمنى، ثم يتحدث عن تشريح المعدة، فهي تتوسع كلما اتجهت أسفل، ونسيجها يتكون من طبقتين باطنة وظاهرة، وكلتا الطبقتين بهما ألياف عضلية، تعمل على تحريك المعدة ودفع الغذاء عبرها، وذكر أن الطبقة الظاهرة طبقة لحمية فقط، بينما الباطنة من المعدة عصبية، تتصل بالأعصاب الآتية من الدماغ، وهو ما يجعل المعدة عضو حسي، ينبه الدماغ عند الجوع فتحدث شهوة الطعام والشراب، وعند المرض.

ويسهب ابن الجزار في شرح بنية المعدة، ودور ذلك في هضم الغذاء، ومساهمة الأعضاء المحيطة بها في ذلك الدور، كما يتحدث عن الأغشية والصفاقات التي تحيط بالمعدة، والشرايين الواردة إليها والخارجة منها، ويشير إلى المعي الخارج منها، وهو الإثنى عشر، وكيفية الارتباط بينهما، والدور الذي تلعبه بوابة المعدة السفلى مع الأمعاء، كصمام يساعد في عملية الهضم، عبر الانغلاق وقت انقباض المعدة والانفتاح وقت انبساطها للسماح بمرور الغذاء المهضوم (القيرواني بن الجزار، 1980: 88- 91).

-قسم فسيولوجيا ووظائف المعدة:

خصص له عنصرا بعنوان: "القول في طبائع القوى الأربعة"، وإن كان قد تحدث عن جزء منه في عنصر "القول في ماهية المعدة وكيفيتها"، فيرى ابن الجزار على غرار من سبقه من الأطباء القدماء مثل جالينوس، أن للمعدة أربع قوة ذاتية، القوة الجاذبة، وهي التي بفضلها يصل الغذاء إليها عبر المريء، وقوة ماسكة، وهي التي تمكنها من الاحتفاظ بالطعام داخلها خلال عملية الهضم، وتساعد فيها الصمامات الموجود في مدخلها ومخرجها، حيث تنغلق وتنفتح آليا حسب حاجة المعدة، وقوة دافعة، وهي التي تمكنها من دفع الطعام المهضوم من جوفها إلى الأمعاء بعد نهاية عملية الهضم، وهناك

قوة رابعة، يعتبرها ابن الجزار أشرف تلك القوى، وهي القوة المغيرة أو الهاضمة، والتي تمكنها من هضم الطعام وتغيير شكله واستخلاص المفيد منه ودفع الضار والزائد منه (القيرواني بن الجزار، 1980: 90، 91).

وتعمق مؤلفنا في شرح طبيعة وماهية تلك القوى الأربعة التي بموجبها تمارس المعدة دورها ووظيفتها في الجسم، فذكر أن القوة الجاذبة، حارة يابسة، لأنها تصدر عن الطبقة الباطنة، والقوة الممسكة باردة يابسة، والمغيرة قوة حارة رطبة، والدافعة باردة رطبة (القيرواني بن الجزار، 1980: 91، 92)، والقصد بالبرودة والحرارة والرطوبة واليبس هنا، هو صدور تلك القوى عن الطبقة الباطنة من المعدة أو الطبقة الخارجية، مع وجود سوائل مرافقة للعملية ومسهلة أو غيابها.

- قسم أمراض المعدة الوظيفية:

وقد تطرق لهاته العلل في عدد من العناصر مثل: "القول في كيفية اعتراض الآفات"، و"القول في القوة الجاذبة" و"القول في فم المعدة والعلل العارضة له"، و"القول في معالجة المعدة"، و"القول في القوة الطبيعية الأربعة"، و"القول في الآفات التي تعرض لكل واحدة من القوى الأربع"، و"القول في حفظ القوى الطبيعية وردها إلى اعتدال مزاجها"، و"القول في دلائل مزاج المعدة"، و"القول في إصلاح المعدة وردها إلى الاعتدال".

وشرح ابن الجزائر في هاته العناصر جملة الأسقام التي تطرأ على وظائف المعدة، وعلى قواها الأربعة، فلا تستطيع جذب الطعام إليها أو تجذبه بطريقة ضعيفة، نتيجة استرخاء المعدة أو زيادة أو نقصان في حرارة أو يبس هاته الوظيفة بسبب عصبي أو مادي، أو لا تستطيع إمساك الطعام نتيجة خلل في بنيتها أو في أعصابها أو في فتحتها السفلى، فينتج عنه مرور الطعام إلى الأمعاء قبل اكتمال هضمه، فيتولد عنه لين البراز والنفخ في الأمعاء وقلة وصول الغذاء النافع إلى الكبد وأجهزة الجسد، كما يمكن أن تصاب القوة الهاضمة، نتيجة الكثير من الأسباب النفسية والجسدية والعادات الغذائية والعلل النسيجية والفسيولوجية، فتعجز المعدة عن إتمام عملية الهضم، فيتولد عن ذلك التجشؤ والغازات وبعض العلل الجسدية نتيجة نقص العناصر الغذائية، والقوة الأخيرة التي يمكن أن تعترضها العلل هي القوة الدافعة، فينتج عن

وقوع الخلل فيها، اندفاع الطعام بسرعة عبر الأمعاء فيتولد الإسهال، أو تباطؤ انتقال الطعام المهضوم عبر الأمعاء فينتج النفخ وتراكم الغازات وتشنج القولون وانحباس البول(القيرواني بن الجزار، 1980: 92- 106).

ويفصل ابن الجزار في هاته العلل، ويورد أسبابها، التي تعود لثلاثة أجناس كما ذكر، وهي أن يغلب عليها الحر أو البرد أو اليبس أو الرطوبة، أو تصاب بورم أو انسداد أو تتعرض لقرحة، ويذكر آلية حدوث تلك العلل الوظيفية والأعراض والعلامات الدالة عليها، ويتبع ذلك بتقديم خلطات ووصفات طبية مختلفة، تعالج سبب المرض وتزيل التطرف أو النقص الحاصل، وتعيد العضو إلى اعتداله السابق، وكل هذا عبر فهم وظيفته والخلل الذي طرأ عليها، وفهم طرق عمل العقاقير الموصوفة(القيرواني بن الجزار، 1980: 93- 109).

وإضافة إلى الأعراض التي تطرأ على جسم المعدة فتؤثر على وظائفها، فهناك علل تصيب فم المعدة فينتج عنها خلل وظيفي أيضا، ويؤكد الطبيب أبو جعفر بن الجزار أن هذا الجزء من المعدة هو أكثر الأعضاء حساسية للأمراض وأكثرها تعرضا للعلل بسبب موقعه ووظيفته، مما ينعكس على وظيفة الهضم، وينتج عنه أعراض كثيرة مثل الغثيان والحموضة واضطراب شهوة الطعام والوحم وحتى الصرع والوسواس، ويتبع ابن الجزار هذا العنصر بعنصر وصف فيه علاج أسقام فم المعدة، حسب نوع علتها، وحسب صنف العرض البادي، كما يظهر في هذا المثال: "فأول ما ينبغي أن يختبر به تغير المزاج، أن ينظر إلى الجشأ فأن كان دخانيا، وكانت مذاقته إلى المرارة، وعرض له عطش شديد، فذلك من المرة الصفراء"(القيرواني بن الجزار، 1980: 98- 102).

- قسم أمراض أنسجة المعدة:

خصص ابن الجزار جزء من مصنفه للحديث عن العلل التي تصيب نسيج المعدة وبنيتها، فأفرد لها العناصر التالية: "القول في الأورام الحادثة في فم المعدة" و"القول في علاج الأورام الحادثة في فم المعدة"، و"القول في القروح المتولدة في المعدة"، و" القول في علاج القروح المتولدة في المعدة".

فتحدث في العنصر الأول عن الحساسية الكبرى التي يتميز بها فم المعدة، وأنه لما يكون عرضة لورم ما فإنه سرعان ما يؤثر على عمل المعدة وعلى الشهوة للطعام، ويمكن الاستدلال عليه بأعراض الوجع الشديد والعطش والحرقة المفرطة في المكان، وأحيانا يصاحبه الفواق (الحازوقة)، ويصاحب ذلك ضجر للمريض وعسر في التنفس وانقباض في الصدر والكتفين والمنكبين، وإذا وصل الورم لدرجة قذف القيح، تصبح النجاة منه قليلة(القيرواني بن الجزار، 1980: 143، 144).

وقد أتبع ابن الجزار هذا العنصر بعنصر وصف العلاج المناسب لهذه الأورام، حسب الأعراض الظاهرة على المريض، فإن كان سبب الورم وصول الكيموس الحار لموضع الورم، فيعالج بخلطات مصنوعة من ماء بعض أنواع الورد والفواكه، وإن كان يصاحبه عطش شديد فله خلطات أخرى مثل "الجلاب الرفيع" و"شراب الحصرم" وإن صاحبه فزع شديد فيعطى المريض "دهن الورد"، أو "ماء البابونج"، وقد اقتبس المؤلف بعض الأدوية التي وفها سابقوه مثل "ابن ماسويه"، كما وصف أقراصا يتم تصنيعها بوصفات معينة يلازمها المريض (القيرواني بن الجزار، 1980: 144- 150).

وفي العنصر الذي خصصه للقروح المتولدة في المعدة، ذكر ابن الجزار أنه إذا طال عمر الورم ولم يتأثر بالعلاج فإنه يتقيح، ويتسبب القيح والصديد الخارج منه، والذي ينزل إلى المعدة، في تقرحها، مما ينتج عنه ضعف في المعدة حتى تصبح عاجزة عن إمساك الطعام، وتضعف بسببها شهوة الطعام، وينشف الفم وتتغير الرائحة المنبعثة من الحلق، وتصبح منتنة.

ويضيف مؤلفنا أن تلك القروح المعدية يمكن أن تحدث بسبب إفراط في الكيموس الحاد، الذي ينتج إصابات تشبه تقرحات الفم المسماة ب"القلاع"، ويصاحب تلك القروح أعراضا من قبيل العطش وجفاف الفم، وجشأ دخاني حاد لاذع، وحرقة والتهاب في المعدة، ويتفاقم الأمر في حالة غياب العلاج إلى مستويات أخطر(القيرواني بن الجزار، 1980: 150، 151).

وأرفق عنصر وصف القروح المعدية وأسبابها ومظاهرها مباشرة بعنصر وصف العلاج المناسب لها، فبدأ بوصف علاج للأعراض الناتجة عن القروح (Traitement symptomatique)، مثل الخلطات التي تنقي الصديد والعفن وتأكل اللحم الميت،

والمصنعة من عدد من الأيارج (خلاصات أنواع من الزهور) المخلوطة بالعسل، ويصحب ذلك حمية غذائية خاصة، مثل أمحاح البيض ولحم الطير ومرق العدس، فإذا توقفت الرائحة العفنة الصاعدة من الحلق، بما يشير إلى توقف القروح عن الصديد والتعفن، يتم استعمال الأدوية التي تلثم اللحم وتلأم القروح وتزيلها نهائيا، وقد أردف ابن الجزار كلامه بوصفات دقيقة لأقراص تصنع خصيصا لهاته القروح، يتعاطها المريض خلال فترة مرضه (القيرواني بن الجزار، 1980: 151، 152).

- قسم الأعراض الدالة على وجود علل بالمعدة:

علاوة على العناصر التي خصصها ابن الجزار للحديث عن مختلف الأمراض المباشرة التي تصيب المعدة ووظائفها في مصنفه، فقد أفرد عناصر أخرى كثيرة للحديث عن الأعراض التي تظهر على الإنسان نتيجة العلل التي تصيب المعدة، والتي يتعامل معها الإنسان عادة وقد لا ينتبه لسببها الأصلي، فيذكر من تلك الأعراض: "القول في بطلان الشهوة للطعام"، "القول في الشهوة الرديئة للطعام"، " القول في الشهوة الرديئة الغربية"، "القول في بطلان شهوة شرب الماء"، "القول في ماهية الفواق"، "القول في الجشاء الخارج عن الاعتدال"، "القول في النفخ العارض في المعدة"، "القول في الغثيان والقيء"، "القول في الأسباب التي تفسد الاستمراء"، "القول في ضعف المعدة عن إمساك ما يرد إليها من الغذاء"، وأتبع المؤلف كل عنصر تحدث عن عرض معين، بعنصر يتحدث عن العلاج المناسب له (القيرواني بن الجزار، 1980: 153- 213).

ويبين الطبيب أبو جعفر ابن الجزار بالشرح المفصل أسباب تلك الأعراض وارتباطها المباشر بالعلل التي تصيب المعدة وفمها، فيحدث بطلان الشهوة للطعام بسبب خلل يصيب فم المعدة، قد يكون عصبي أو نسيجي، أو يصيب المعدة نفسها بسبب ضعف تحسسها لقلة الطعام، نتيجة انقباض العروق أو إفراط في كمية سائل الصفراء الذي يسبب التهاب غشاء باطن المعدة، أو نتيجة تقلب مزاجها، والمقصود به خلل في نسق عملها وحركتها، وقد يكون السبب في الجسم الذي لا يستفرغ ويتشبع بسرعة، ويحدث عرض الشهوة القبيحة للطعام مثلما يكون في حالة الوحم مع الحوامل بسبب ارتباك الوظيفة الهضمية للمرأة نتيجة الحمل وإرجاء الجنين لبعض المواد، التي

تتجمع في المعدة وتؤثر على أنسجتها وعملها، ويحدث بطلان شهوة الماء والشراب نتيجة موت القوة التي تتحسس ذلك في المعدة (القيرواني بن الجزار، 1980: 153، 154).

ويخصص ابن الجزار عددا من العناصر للحديث أن أعراض مثل: الفواق (الحازوقة)، والتي تنتج عن خلل يصيب حركية ونسق القوة الدافعة والمساكة، وأسبابه كثيرة قد تكون بعض أنواع الأطعمة غير المستساغة، أو انحباس هواء في المعدة، ومثل: الجشأ، الذي ينتج عن وجود ريح بالمعدة، والتي يتسبب فيها ضعف المعدة أو حدوث اضطراب في مزاجها، أو نتيجة سوء غذاء يسبب عسر هضم، ومثل: النفخ: الذي يتولد عن انحباس الريح في المعدة والأمعاء، نتيجة ضعف عملية الهضم في المعدة بسبب ضعفها أو نتيجة أنواع معينة من الأطعمة، والذي ينتج عنه أوجاع وإزعاج، وتأثيرات نفسية من قبيل الوسواس والفزع والخوف الدائم (القيرواني بن الجزار، 1980: 174-191).

ثم تحدث عن الغثيان والقيء، اللذان ينتجان عن حدوث خلل في وظيفة المعدة وحركيتها التي تدفع الطعام من فوق إلى تحت، وذلك بسبب وجود إفراط في كمية الطعام أو بسبب نوعيته اللاذعة، أو بسبب وجود تقرحات في المعدة، أو بسبب احتباس الطعام في الأمعاء وعدم استفراغها بشكلها المعتاد، مما يضغط على المعدة ويدفعها لرد ما فيها نحو الأعلى، مما يسبب الغثيان والقيء، وأتبع ذلك بالحديث عن فساد الاستمراء، أي عرض عدم استساغة الطعام، فعدد أسبابه الكثيرة، التي قد تعود لخلل في المعدة أو بسبب نمط التغذية، وختم بالحديث عن عرض خروج الطعام غير مهضوم من المعدة، وهو ما يظهر في البراز، وذلك بسبب ضعف المعدة عن إمساك الطعام، وفصل في أسبابه، وأتبع ابن الجزار كل عرض من الأعراض السابقة، بوصفات طبية دقيقة ومفصلة، تعالج أصل المرض (القيرواني بن الجزار، 1980: 191- 220).

- قسم خاص بالوقاية والحمية المناسبة لصحة المعدة:

أفرد ابن الجزار بضعة عناصر للحديث عن سبل الوقاية من علل المعدة، مثل: "القول في التدبير الحافظ لصحة المعدة" و"القول في الأغذية التي تصلح المعدة والأغذية الضارة في طبيعتها للمعدة"، فيقول في العنصر الأول: "وينبغي لمن أراد أن يستديم صحة

المعدة، حتى لا يعرض لها مرض يغير أفاعيلها أو يضعفها، أن يجعلا الطعام مثل الدواء، وكما أن الدواء ليس يقصد إلى أن يكون لذيذا أو كثيرا، وإنما يقصد إلى منفعته، وكذلك ليس القصد من الطعام إلى لذته، ولا إلى كثرته، وإنما القصد إلى منفعته"(القيرواني بن الجزار، 1980: 140)، ويردف المؤلف أن المعدة إذا حمل عليها فوق طاقتها، دقت واتسعت وبردت وضعفت حتى تصير كالثوب الخلق البالي، وأفضل العلاجات لها، ترك الطعام وهو يشتهى وترك الشراب دون بلوغ حده الأقصى، ويخصص ابن الجزار العنصر الثاني لأنواع الأغذية النافعة للمعدة ووظيفتها، وتلك الضارة بها، في إشارة إلى أن الطعام هو المسبب الأول لآفات المعدة، وأن الحمية رأس الدواء (القيرواني بن الجزار، 1980: 221- 224).

- **خاتمة:**

عرفت الحضارة الإسلامية بزوغ نجوم الكثير من الأعلام والنوابغ، في شتى صنوف العلوم والفنون، فلا يكاد يعرف علم حالي لم يبرز فيه عالم ومبدع مسلم، سواء تعلق الأمر بالفلسفة أو الرياضيات أو الفلك أو الكيمياء أو التاريخ أو الطب أو البصريات والفيزياء والطيران، بل إن بعض العلوم كانت من ابتكار المسلمين، مثل علم الاجتماع والجبر والطب العيادي.

وقد شهد الطب على غرار باقي العلوم نبوغا عربيا إسلاميا كبيرا، فخلد التاريخ أسماء أطباء مسلمين فطاحلة مثل ابن سينا ومثل فخر الدين الرازي وأبوبكر الرازي وابن رشد والزهراوي وابن النفيس وابن البيطار وابن الجزار القيرواني، وقد ترك كل واحد منهم بصمته في الطب عبر مساهماتهم ومصنفاتهم الخالدة، التي أثرت علم الطب وساهمت في تطور مسيرته وفي تقدمه خطوات جديدة، مثلت تمهيدا مهما ولبنات صعد عليها أطباء عصر التنوير والحداثة، لينتج لنا الطب الحديث المعاصر.

ويمثل ابن الجزار القيرواني، أحد أولئك النجوم الكبار، الذين عرفهم الطب العربي الإسلامي في عصور ازدهاره وألقه، وأحد نوابغ منطقة المغرب الإسلامي،

حيث مارس الطب وتثقف فيه عبر مطالعة مصنفات الأوائل من أطباء اليونان والفرس والعرب، وترك تراثا طبيا عظيما يدل على علو مكانته في الطب وتمكنه من صنعته، فتعددت مصنفاته في شتى ضروب الطب وأقسامه، وغدت مصدرا طبيا أخذ عنه من جاء بعده من أطباء أوروبا، وترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية والإغريقية، لتصبح مرجع أطباء أوربا لدهر من الزمن.

ومصنف "في طب المعدة"، يعد أحد أفضل وأبدع ما ألّف ابن الجزار، بل ما صُنّف في الطب، فهو كتاب شامل يلم بعضو المعدة، وبعلله وأسقامه، وبأسبابها وأعراضها وبحميتها، فجاء هذا المصنف على شكل أقوال متتالية، اشتملت كل مجموعة منها على غرض معين، بداية بشرح ماهية بنية المعدة ووظيفتها، ثم شرح العلل التي تصيب عمل المعدة ووظائفها، ثم التفصيل في الآفات التي تصيب نسيجها وبنيتها، ثم الحديث عن مختلف الأعراض التي تبدو على الإنسان نتيجة الخلل الذي يعترض العملية الهضمية، وأخيرا تقديم بعض النصائح الوقائية التي تحفظ المعدة من الآفات، والحديث عن أفضل حمية غذائية يمكن أن تستقيم معها وظيفة المعدة.

والتوصيات التي تأتي في ختام هذه الدراسة وهذه النتائج، هي وجوب الاهتمام بتاريخ وتراث العلوم عموما والطب خصوصا في منطقة المغرب الإسلامي أو شمال إفريقيا الحالية، والتي يمثل ابن الجزار القيرواني ومصنفاته قبس بسيط منها، وإنجاز الدراسات وإقامة الملتقيات حول ذلك التراث ومن ثمة تدريسه، لأن ذلك يغرس روح الاعتزاز لدى الأجيال الحالية بتاريخها وهويتها، وينمي لديها الحس العلمي وغريزة البحث، وهو الطريق الوحيد للنهوض الحضاري، كالذي كان في العصور السالفة.

-التعليقات:

-**التعليق 01**:اسحاق بن عمران، طبيب مسلم من القيروان لقب ب"سم ساعة"، أصله من بغداد بالعراق، له مصنفات قيمة في الطب مثل: "كتاب نزهة النفس، وكتاب داء الماليخوليا"،

توفي سنة 320هـ/ 932م، مقتولا على يد الأمير الأغلبي زيادة الله. (الأندلسي بن صاعد، 1912: 60)

- **التعليق 02**:أبو يعقوب إسحاق بن سليمان، طبيب وفيلسوف يهودي ولد بمصر ثم انتقل إلى القيروان، في عهد زيادة الله الأغلبي ثم خدم عبيد الله المهدي، وتتلمذ على يد إسحاق بن عمران، وكان من أساتذة ابن الجزار (الأندلسي بن صاعد، 1912: 88).

-**التعليق 03**:حسن حسني عبد الوهاب، أديب ولغوي ومؤرخ تونسي ولد سنة 1884م وتوفي سنة 1968م، اتهم بتراث تونس العلمي، وقد ترك عشرات المؤلفات القيمة، مثل "مجمل تاريخ الأدب التونسي وخلاصة تاريخ تونس" (عبد الوهاب حسني، 1990: 17- 28).

-**التعليق 04**:أبوبكر محمد بن أبي خالد الجزار، عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ترك عدد من المصنفات حول بعض التراكيب الدوائية أوردها ابن أخيه في كتابه "طب المشايخ"(ابن جلجل أبو داود، 1955: 90).

-**التعليق05**: أبوحنيفة النعمان محمد بن منصور بن حيون، قاضي المعز لدين الله الفاطمي بتونس ومصر، توفي بمصر، سنة 363هـ (بن خلكان شمس الدين، 1978: 166).

- **التعليق 06**:مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة (1609- 1957م)، جغرافي ومؤرخ عثماني، له مصنف "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (الزركلي خير الدين، 2002: 331).

-**التعليق 07**:قسطنطين الإفريقي (1020- 1087م)، طبيب مسلم ولد بالقيروان ثم انقلب إلى المسيحية وهاجر إلى إيطاليا، حيث أمضى بقية حياته بدير مونت كازينو الشهير، وقد ترجم كثير من مصنفات الطب العربية للراوي وابن الجزار وإسحاق الإسرائيلي إلى اللاتينية، وظلت كتبه المترجمة مرجعا في الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر (العقيقي نجيب، 1964: 121).

-**التعليق 08**: أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، (توفي 400هـ/1013م)، طبيب عربي مسلم من الأندلس، يعد أحد أعظم الأطباء المسلمين ويلقب بأبي الجراحة الحديثة، له مصنف "التصريف لمن عجز عن التأليف" في الطب.(ابن أبي صبيعة أحمد، 1883: 52).

-**التعليق 09**:علي بن إبراهيم بن بختيشوع، (ت 460هـ)، ولد بكفر طاب بالشام، وكان طبيبا متخصصا في أمراض العيون، وقد ألف مصنف: "تشريح العين وأشكالها ومداواة عللها". (ابن بختيشوع علي، 1991).

- **التعليق10**:منقول بسند عن أبوهريرة، وأخرجه العقيلي في الضعفاء وابن الجوزي في الموضوعات والطبراني في الأوسط. (الدوسري جاسم، 1992: 238، 239).

قائمة المصادروالمراجع:

- ابن أبي صبيعة أحمد، (1883)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط: 01، القاهرة: المطبعة الوهبية.
- ابن بختيشوع علي، (1991)، تشريح العين وأشكالها ومعرفة عللها، (تحقيق: محمود أحمد صقر وآخرون)، ط:01، الرياض: مطبعة العبيكان.
- ابن جلجل أبو داود، (1955)، طبقات الأطباء والحكماء، ط: 01، القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية.
- ابن خلكان شمس الدين، (1978)، وفيات الأعيان، (تحقيق: إحسان عباس)، ط: 01، بيروت: دار صادر.
- الأندلسي بن صاعد، (1912)، طبقات الأمم، (تحقيق: لويس شيخو)، ط: 01، بيروت: المطبعة الكاثولكية.
- بروكلمان كارل، (1991)، تاريخ الأدب العربي، (ترجمة: عبد الحليم النجار)، ط: 05، القاهرة: دار المعارف.
- البغدادي إسماعيل باشا، (1951)، هدية العارفين، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجزري بن الأثير، (1987)، الكامل في التاريخ، ط: 01، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الدوسري جاسم الفهيد، (1992)، الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام، ط: 01، بيروت: دار البشائر الإسلامية.
- هونكه زغريد، (1993)، شمس العرب تسطع على الغرب، (ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي)، ط: 08، بيروت: دار الجيل، دار الآفاق الجديدة.
- الزركلي خير الدين، (2002)، الأعلام، ط: 15، بيروت: دار العلم للملايين.
- الحموي ياقوت، (1983)، معجم الأدباء، (تحقيق: إحسان عباس)، ط: 01، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- المراكشي بن عذاري، (1950)، البيان المغرب في أخبار المغرب، ط: 01، بيروت: مكتبة صادر.
- سيزكين فؤاد، (1991)، تاريخ التراث العربي، الرياض: إدارة الثقافة والنشر جامعة محمد بن سعود.

- عبد الوهاب حسن حسني، (1972)، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، ط: 01، تونس: مكتبة المنار.
- عبد الوهاب حسن حسني، (1990)، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، ط: 01، تونس: بيت الحكمة.
- العقيقي نجيب، (1964)، المستشرقون، ط: 03، القاهرة: دار المعارف المصرية.
- الصفدي صلاح الدين خليل، (2000)، الوافي بالوفيات، (تحقيق: أحمد أرناؤوط، تركي مصطفى)، ط: 01، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- القيرواني بن الجزار، (1980)، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، (تحقيق: سلمان قطابة)، ط: 01، بغداد: دار الرشيد للطباعة والنشر.
- القيرواني بن الجزار، (1996)، طب الفقراء والمساكين، (تحقيق: كاضم آل طعمة)، ط: 01، طهران: معهد الدراسات الإسلامية.
- خليفة حاجي، (1966)، كشف الظنون أن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- DUGAT Gustave, (1853), «Etudes sur le traité de médecine d'Abou Djafar Ahmed intitulé Zad Al-Moçafir», Journal Asiatique, Société asiatique,, Tome: 01, 5eme Série, p-p: 289- 353.
- IZKANDAR Albert Zaki, (1967), a Catalogue of Arabic Manuscrites on Médecine and Sciences, London: the welcome Institut of the history of Médecine.
- LECLERC Lucien, (1876), Histoire de Médecine Arabe, Paris : Ernest LEROUX.
- SARTON George, (1975), introduction to the history of science, New Yourk: Robert Krieger Publishing company.
- SBATH Paul, (1934), Al-fihris, Caire : Imp : Au Prix Coutant.